السلطة في الشرق
من خلال الرحلة المغربية في القرن الثامن عشر الميلادي

د. رشيد زين العابدين
دكتوراه في التاريخ الحديث
جامعة محمد الخامس
الرباط - المملكة المغربية

بيانات الأطروحة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه
تخصّص التاريخ الحديث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس
الرباط، المملكة المغربية ٢٠١٦

الباحث: رشيد زين العابدين
إشراف: أ. د. عبد الرحيم بنحادة
لجنة المناقشة عبد المجيد القدوري رئيسًا
عبد الرحيم بنحادة مقررًا
محمد جادور عضوًا
مصطفى الغاشي عضوًا

كلمات مفتاحية:
الدولة المغربية، الرحالة المغاربة، الإدارة الجهوية، جيش الشرق، الدولة العثمانية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054929

مُقدِّمَةُ

يندرج موضوع "**السلطة في الشرق من خلال الرحلة المغربية في القرن الثامن عشر الميلادي**" ضمن مواضيع البحث الأكاديمي التي تسعى لإعادة إحياء التراث الوطني المغربي، باعتباره وثيقة شاهدة على مرحلة زمنية محددة، وضمن التجديد في الوثائق التي يعتمد عليها في تناول مواضيع تقليدية عن الشرق كموضوع السلطة. وكان ما دونه المغربي حول رحلته الحجية أو السفارية في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، هو ما وقع عليه الاختيار من هذا التراث، مستندا على (٢١) نصًا منه لرحلات توزعت– في تاريخ القيام بها – على مدى القرن الثامن عشر الميلادي، من بدايته وحتى نهايته، معتقدًا أن تناولها جميعها ضمن دراسة واحدة قد يوحد المغرب والمشرق ضمن مكان كبير هو الشرق، كما يمكن كذلك من خلق زمن ثقيل تتوضح فيه الأغراض المقصود الوقوف عندها وتتراكم بشأنها المعطيات، وهذه الأغراض ليست شيئًا آخرًا غير واقع السلطة بالشرق في هذه المرحلة، لأن الرحالة للمغربي – على اختلاف مساره وتكوينه- حتمًا تأثر بوجودها، باعتبارها نظريًا هي نفسها في كل مكان مع اختلاف في تصريفها، وذلك من خلال إعادة بناء الحدود السياسية للدول والأقاليم التي قصدتها الرحلة، ومن خلال إعادة بناء المؤسسات الحاكمة بها مركزيًا ومحليًا، بعرض كيفية تشكلها ومهام عناصرها، وكيف تفاعلت المجتمعات مع نشاطها.

مشكلة موضوع البحث

ربما من قبيل الصدفة أن هذا البحث ينطلق من إشكاليتين معًا، إشكالية المصدر أو الوثيقة المعتمدة، من ناحية النجاح في الاعتماد عليها لطرق موضوع تقليدي عابر للمكان ويُعَدّ من مواضيع الفكر السياسي الإسلامي. ثم إشكالية موضوع السلطة في الشرق في القرن الثامن عشر الميلادي، أي عن أي شرق نتحدث و بأي معيار نحدده، و أي مستوى من السلطة – السياسية- نقصد؟

١-إشكالية: مؤلف رحلة/ موضوع سلطة

ينتمي موضوع الأطروحة كما قلنا إلى مواضيع الفكر السياسي الإسلامي، وهذه تحتاج في بنائها غالبًا إلى نوع خاص من الوثائق التاريخية-قد تكون كتب التاريخ الصرفة أو مراسلات دبلوماسية أو تقارير دونها رجال الإدارة لبلد ما. فهل ضمّن الرحالة المغاربة في القرن الثامن عشر الميلادي مؤلفاتهم إفادات حقيقية في موضوع السلطة بالقدر الذي يجعل منها وثيقة تاريخية معترف بها لتحقيق الغرض، فتشكل إضافية نوعية للبحوث الأكاديمية باعتبارها وثائق غير تقليدية في بناء موضوع ضمن الفكر السياسي للأنا؟[١]

أشعرتني قراءتي الأولى والسريعة للرحلات المعتمدة، بنوع من الاطمئنان بشأن ما أود توضيحه. فقائمة الرحلات ضمت خمس نصوص مخلدة لسفارات قام بها رجال تمرسوا في الخدمة المخزنية في مغرب القرن الثامن عشر الميلادي، وأنهم غادروا بلادهم نحو عواصم بلدان أخرى لخدمة مهام سياسية بالدرجة الأولى. ولذلك فمؤلفاتهم تشكل بالنسبة لنا نافذة نقترب من خلالها من فئة أصحاب وظائف السلطة المركزية بالمغرب، ونقف معها أيضًا على جزء من اهتمامات خارجية هذا البلد في هذه الفترة التي خلدت للمرحلة الذهبية من تاريخه الدبلوماسي في العصر الحديث، عندما تم إرسال أكبر عدد من السفراء إلى العواصم الأوربية وإلى إستانبول عاصمة العثمانيين. فحملت لنا رحلاتهم بحكم طابعها الرسمي، معلومات مهمة عن مستويات محددة لجهاز السلطة عند الآخرين، سواء بالنسبة للدولة العثمانية-أو بالنسبة للمملكة الإسبانية أو مملكة نابولي أو جمهورية مالطة، وذلك بغرض عقد المقارنات-. ويكفينا الإشارة في هذا الموضع أن السفير المكناسي حضر انعقاد الديوان الهمايوني العثماني عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م، بكل ما يعنيه ذلك من وقوف مباشر على تراتبية السلط العثمانية ووزن كل طرف منها، بنوعيها القلمية والسيفية[٢]. من جهة ثانية نطمئن أيضا لما قدمته لنا رحلة أخرى شغل صاحبها منصب وزير في دولة السلطان المغربي مولاي عبد الله بالمغرب، وأن رحلته دونها في الأصل تخليدًا لرحلة حج سيدة من البيت السلطاني عرفت بإشعاعها السياسي الداخلي والخارجي القويين، وكان يكشف عن جزء من هذا الإشعاع في مواضع مختلفة من هذه الرحلة[٣].

من ناحية أخرى ضمت قائمة رحلاتنا الحجية، رحالات لعالمين مغربين بارزين في تلك الفترة، امتد إشعاعها العلمي– وربما السياسي عند أحدهما[٤] -ليس على المستوى الداخلي فقط بل حتى خارج التراب المغربي، وهما أحمد بن ناصر الدرعي أو "علم الأعلام وشيخ الإسلام كما نعته أحد أهل التراجم[٥]، ومحمد ابن عبد السلام الناصري. فكلاهما من كبار أعلام زاوية[٦] كان المخزن المغربي في تلك الفترة يحسب لها حسابها، وكانت أنشطتها تدخل بشكل أو بآخر ضمن معارضة السلطة القائمة أو القيام بدور القوى المحلية كما كانت تسمح لها بذلك هذه السلطة في عدد من الأحيان على حد استنتاج عبد الله العروي[٧]، وبالتالي فإن ما سيدونه تلامذتها ضمن مؤلف مفتوح الاهتمام -كالرحلة -لن يبخل في الحديث عن وضع السلطة في بلد ما، رضا أو سخطًا، ظاهرًا أو في شكل إيماءات. وقد ظهر لنا ذلك جليًا منذ تصفح الورقات الأولى لمؤلف الرحالة الأول التي نفهم من خلالها جزءًا من العلاقة التي ربطت الرحالة بالسلطة الحاكمة بالمغرب في شخص السلطان المولى إسماعيل، وظهر أيضًا في ثنايا المؤلَف تفاعل صاحبه مع الأحداث السياسية لعصره وخاصة وهو خارج وطنه. أما الرحالة الثاني فقد أجاد وصف المجتمعات التي مر بها ذهابًا وإيابًا في رحلتيه معًا إلى المشرق خلال القرن الثامن عشر الميلادي. فكان بذلك في نظرنا يعيد رسم صورة السلطة القائمة في المغرب وفي المشرق من زاوية انعكاسها على مجتمعيهما. وعلى قاعدة وصف المجتمعات المتواجدة في مسار الرحلة الحجازية سارت أوصاف باقي الرحالة خلال هذه الفترة.

من زاوية أخرى إن المتتبع لمضامين هذه الرحلات يستطيع إعادة تجميع مصطلحات القاموس الإداري لجهاز السلطة الذي كان متداولاً في الشرق وحتى عند بعض ملكيات الغرب المسيحي خلال القرن الثامن عشر الميلادي. لقد تضمنت هذه المؤلفات مصطلحات عديدة تخص مستويات مختلفة من السلطة كمصطلح: الدولة[٨] والمخزن[٩] والسلطان[١٠] والملك[١١] والوزير[١٢] والأمير[١٣] والباشا والكيخية[١٤]، وغيرها عند أهل الشرق. وتضمنت مصطلحات: الراي[١٥] والكبير والمركيز والدوك والكوند[١٦]، وغيرها عن بعض ملكيات الغرب. كما حملت لنا الرحلات بين صفحاتها ما ساعدنا على إعادة رسم الحدود السيادية لعدد من الكيانات السياسية القائمة في تلك الفترة في شكل دول أو إيالات، عندما كانت تحدد "**بداية طاعة**" هذا الحاكم أو ذلك بمواضع جغرافية مختلفة، أو عند حديثها عن بعض رموز السيادة وحدود فعاليتها لعدد منها[١٧]. كما وجدنا عند رحالتنا المغاربة ما يفهم منه أنهم كانوا يميزون بين أهل الحكم وعامة القوم. لقد كانت أهم عبارة تتردد على ألسنتهم وهم يتحدثون عن رجال السلطة في بلد ما هي عبارة "**أرباب الدولة**"، إلا أن بعضهم أطلقها على رجال الحكم في المركز وبعضهم أطلقها حتى على القائمين بها في النواحي. فالناصري أطلقها على كل من كان يلتقيهم من أهل الدولة عامة[١٨]. وأطلقها الزياني على عناصر جهاز السلطة بالقاهرة قاصدا منهم الصف الأول، وهم "الصناجق" و"الولاة"

و"الأمراء" و"الحكام" و"القاضي" وأتباع كل واحد من هؤلاء كما يقول[١٩]. وأطلقها مرة أخرى ومعه المكناسي على عناصر جهاز الإدارة المركزية بإستانبول[٢٠]. وأطلقها هذا الأخير على الحاكمين بإيالة الجزائر بشكل عام[٢١]. وأطلق مصطلح "الحاشية "على رجال الدولة بمجلس الملك الاسباني[٢٢]. وأطلق عليهم في موضع آخر "أكابر الدولة"[٢٣]. وأطلق عليهم وهو بنابولي "أهل المملكة"[٢٤]. ونعت أحمد بن ناصر الدرعي المنضويين تحت جهاز سلطة السلطان المولى إسماعيل عبارة "أعيان الدولة"[٢٥] و"أرباب الدولة"[٢٦]. أما الزرهوني في موضع من رحلته وفي معرض حديثه عن تحركات باشا مراكش بواد نفيس، فحدثنا عن نشاط"المخزن"[٢٧]. وحاول في مناسبة أخرى تعريف رجالات الدولة بربط القرار السلطاني بهم قائلاً: "وما السلطان إلا جلساؤه"[٢٨].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالرحالة المغاربة، فضلاً عن علمهم بأسماء عدد من رجالات السلطة، فقد كانوا يدركون كذلك مستويات هذه الأخيرة والعلاقات العمودية والأفقية القائمة بين السلط، وأحيانًا حاولوا حصر مهامها. من أمثلة ذلك في هذا الموضع ما ذكره الزياني عند وفادته على إستانبول عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م أنه سلم الهدية فور وصوله لرجال الدولة حسب تراتبيتهم الإدارية وتسلم هديته بالمقابل "**من الوزير وأهل دولته...كل على قدر منصبه، وبعده الثاني والثالث إلى تمام جميعهم**"[٢٩]. وصرح لنا الإسحاقي وهو بباشوية مصر عند حديثه عن عمالها أن "**عامة المال الذي يجمعونه للسلطة وغيرها من المكوس**"[٣٠]. وعلق محمد بن عبد السلام الناصري عند مشاهدته عظام الحجاج الملقاة على قارعة الطريق بدرب الحجاز عام ١٧٨٢م أن "**عهدتهم على الأمير**"[٣١]. وحدثنا ابن عثمان المكناسي وهو بالمشرق حول قائد قلعة دمشق"**أغات الكشارية... قائد مخصوص من قبل السلطان ومعه عسكر إلى نظره، فليس للوزير عليه سبيل**"[٣٢]. كما أخبرنا وهو بإسبانيا عن حاكم مدينة "سنطمرية" التابع إداريا لحاكم قادس "**لأنه أكبر منه ويقال له القبطان، ويتصرف في عدة مدائن منها قالص وغيرها**"[٣٣]. وصرح عند حديثه عن أمير البحر الإسباني أنه "**القبطان الكبير الذي بيده وإلى نظره جميع المراكب البحرية**"[٣٤]. ليس غريبا إذن بعد هذه الإشارات الرحلية أن نستند إلى مؤلف الرحلة الحجية أو السفارية في القرن الثامن عشر الميلادي، لمعالجة إشكالية في موضوع السلطة بالشرق في هذه الفترة.

٢-إشكالية الموضوع

وصف عبد الله العروي، الدولة التي نشأت في البلاد العربية الإسلامية حتى ظهور الخطر المسيحي الغربي في القرن التاسع عشر الميلادي، بأنها دولة سلطانية، تخدم السلطان ظل الله في الأرض، وجيشها هو يد السلطان، وإدارتها هم أفراد يؤتمنون على مال السلطان، وأنها تميزت كذلك بفصم تام بين ولي الأمر من جهة وبين الرعية من جهة ثانية[٣٥]. تأتي هذه الدراسة إذن لتقيم بالمعلومة التاريخية، مدى تطابق هذا التصور مع واقع دولة السلطان المغربي ودولة السلطان المشرقي(العثماني)، من جهة علاقة هذا الأخير بإدارتها المركزية والمحلية وعلاقته بجيشها، ضمن إطار لا يخرج عن الوقوف عن ظروف تعيين أو عزل أو عقاب رجل السلطة والمهام التي أوكلت إليه وتفاعل الرعية عند تنفيذ هذه المهام. ثم علاقة الحاكم كذلك بجهات أخرى يحدد نشاطها داخل المجتمع مستوى قبوليته حاكما للبلاد، ونقصد منها تحديدًا فئة الحاملين للعلوم الفقهية، والمتصوفة، وذلك ضمن إطار الوقوف عن أشكال تقريب أو احتواء أو عقاب عناصر هذه الفئة.

منهج البحث

بعد التدليل على أن الرحالة المغاربة كان لهم إدراك بمسألة السلطة كمستويات وأسماء ومهام -أو جزء من مهام-مسؤولين، ينطرح أمامنا السؤال التالي: كيف سيتم عرض ما جادت به الرحلة في موضوع السلطة؟ هل سيتم عرضه من خلال القوالب الفكرية الجاهزة بين أيدينا الآن، أي ببسط مكوناتها دستوريا كما هو متعارف عليه اليوم كاختصاصات حقوقية، وبالحديث عنها في مستوى آخر من ناحية تاريخيتها وتطورها وعلائقها، أي باختصار باعتماد منهج مدرستي التاريخ وعلم الاجتماع في التأليف؟ أم أنه يتوجب إعادة بنائها بالشكل والمستوى الذين عرفها بهما المرتحل المغربي في تلك الفترة؟

لم يكن الحسم سهلاً في الاختيار بين هذه السبل المنهجية، لاعتبارات-وضحت في مقدمة الأطروحة - همت أساسًا إشكال مصطلح "اسم المنصب السلطوي "بكل مستوياته، بين الاصطلاح الآني عند المؤرخين والحقوقيين، وبين اصطلاح مؤلفي القرن الثامن عشر الميلادي من رحالة وإخباريين مشرقًا ومغربًا. كما هم الإشكال كيفية وضع "هيكلة لجهاز السلطة" وتوحيده بين المشرق والمغرب، بل توحيده في المشرق لوحده داخل مجال نفوذ العثمانيين أمام تنامي حركات الانفصال وبروز أشكال الاستقلال عن المركز، عندما لم يعدّ الجهاز المحلي محليًا بل صار هو نفسه مركزيًا، وصارت له أجهزته المحلية.

محتويات الأطروحة

لكل هذه الاعتبارات فرض علينا أسلوب المرونة نفسه لتسريع إطلاق هذا العمل، فاخترنا له قالبًا منهجيًا مبسطًا ومرنًا إلى أقصى حد في التعامل مع مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، وفي التعامل مع المصطلحات ومستوى الأمكنة. وعليه فإن هذه الدراسة تشكلت من أربعة أبواب، تقدمها **مدخل**

تمهيدي تطرقنا فيه لأهمية القرن الثامن عشر الميلادي في تاريخ المغرب وفي تاريخ المشرق، وعرفنا من خلاله أيضا بوثائق الدراسة. وفي **الباب الأول** قاربنا مفهوم "السلطة" من مؤلفات مختلفة عند "الآخر" وعند "الأنا"، أي كما تصوره عدد من أشهر المهتمين الغربيين من أمثال "ماكس فيبر" و"فوكو" وآخرون ضمن حقل علم الاجتماع، وداخل أشهر مصادر العلوم السياسية من أمثال مؤلفات" جان جاك روسو" و"هوبز" وغيرها. ووقفنا عند مضمونه أيضًا أو ما شابهه من مصطلحات داخل مصادر "الأنا" وعلى رأسها القرآن الكريم وبعض مؤلفات السياسية الشرعية والآداب السلطانية. وقمنا بالعملية ذاتها مع "مفهوم "الشرق". وفي **الباب الثاني** عرضنا للإدارة المركزية في الشرق، حيث الإدارة الواقعة بالقصر السلطاني - المغربي أو العثماني-أو بجانبه، والتي يوجد على رأسها منصب السلطان وإلى جواره أهم السلط الأخرى القريبة منه كمنصب "الوزير" ومنصب "الكاتب". عرضنا لهذه المناصب تنصيبا -أو تعيينا-ومهاما، وقارنا بعضا منها في خلاصة "باب المبحث" بنظيرتها ببعض البلدان الأوربية. وفي الباب **الثالث** تناولنا "الإدارة الجهوية في الشرق"، بالحديث عن حاكم أوسع تقسيمة إدارية في الدولة العثمانية أو الدولة المغربية والذي مثله منصب "الباشا"، وبالحديث أيضًا عن "القاضي الجهوي" وأضفنا إليهما "أمير ركب الحج" لأسباب شرحناها في موضعها. وعرضنا في **الباب الرابع** والأخير لجيش الشرق، بعدما ميزنا فيه بين الجيش النظامي والجيش الرديف، عرضنا له من ناحية التكوين ومن ناحية الأدوار القتالية والسياسية وكذا الاحتفالية التي مارسها.

نشير كذلك أن توثيقنا لمضامين الأبواب: الثاني والثالث والرابع، من هذه الدراسة روعي فيها الاعتماد على المصادر ما أمكن وخصوصًا في شق البحث المتعلق بالسلطة بالمغرب، قبل لجوئنا إلى كم لا يستهان به من دراسات وأبحاث، أنجزت بأقلام مغاربيين ومشارقة عرب وبأقلام أتراك وأجانب.

نتائج البحث

عل مستوى الوثيقة المعتمدة

- نقلت لنا الرحلة السفارية المغربية العديد من الأخبار التي لها علاقة بواقع السلطة في الشرق خلال القرن الثامن عشر الميلادي، لكنها بالمقابل تكتمت عن أخرى. وعليه يجب الاعتماد على وثائق غير مغربية وبالتحديد الاعتماد على وثائق عثمانية وإسبانية لتوضيحها أكثر.
- خلصنا أيضًا أن الرحلة الحجية التي قام بها أشخاص لا يعملون في سلك الإدارة المغربية في القرن الثامن عشر الميلادي، قدمت هي الأخرى معلومات وافية حول السلطة بالشرق، لكنها قيمت الوقائع في الغالب من المنظور الديني ومن زاوية واحدة في بعض الأحيان.

على مستوى موضوع السلطة في الشرق خلال القرن الثامن عشر الميلادي

على مستوى السلطة المركزية في الشرق

- رغم أن الحاكمين المغربي والعثماني في القرن الثامن عشر الميلادي، توليا حكم بلادهما عن طريق وراثة المنصب، فإن أخذ البيعة لهما شكلت شرطا للممارسة الحكم.
- كان ظهور سلطان مغربي بعد موت سلفه، عملية عسيرة على الأسرة الحاكمة والرعية المحكومة معا، نتيجة مشكل ولاية العهد، الذي لم نلحظه بالحدة ذاته عند العثمانيين.
- لم تكن ألقاب حاكم الشرق ألقابًا عفوية، بل كانت ألقابًا مختارة تحمل رسائل للداخل والخارج حول الأحقية في الحكم.
- كان السلطان المغربي الإداري الأول بشكل مطلق ببلاده والقائد الأعلى للجيش، نظريًا وعمليًا، بخلاف وضع الحاكم العثماني، الذي لم يطابق وضعه النظري الواقع العملي في هذا الشأن لصالح جهات مؤثرة أخرى.
- تم رصد تشابه كبير في سلط بعض عناصر الكادر الإداري المركزي الشرقي مع نظيره الغربي، وتحديدًا منصب الصدر الأعظم العثماني، مع نظيره الوزير الأعظم في مملكة إسبانيا ومملكة نابولي. وتشابه منصب سفير هاتين الأخيرتين مع السفير المغربي.

على مستوى السلطة الجهوية في الشرق

- لاحظنا بقاء تعيين "باشا الشرق" أمرًا خاصًا بالسلطان وحده في المغرب، وخضوعه في المشرق لمتدخلين آخرين.
- هناك تشابه كبير بين مهام "باشا المغرب"، ومهام "باشا المشرق"، وهي مهام تمثلت أساسًا في: فرض الأمن ودعم المركز ونقل أموال إليه.
- خلصنا أن السلطة الجهوية في الشرق بصفة عامة وفي فترات عريضة من القرن الثامن عشر الميلادي كانت سلطة جباية عزز مهمتها السلطتين القضائية والعسكرية.

على مستوى جيش الشرق (جمع جيش الشرق في القرن الثامن عشر الميلادي العديد من المتناقضات في التكوين والأدوار):

- ضمه العنصر النظامي والقبيلي معًا (حالة الجيش المغربي وجيوش الإيالات المغاربية العثمانية).
- شكل جيش الشرق أداة في يد السلطة المركزية وضدها في الآن ذاته.

- شكل جيش الشرق درعًا لحماية الرعية وشكل في الوقت نفسه مصدر ضرر لها في فترات عديدة، وكان أحيانًا أخرى جيشًا مغلوبًا على أمره أمام تحديات القبائل في الداخل وأمام تهديدات القوى الأجنبية.
- كانت إستانبول بالنسبة للمغرب وبالنسبة لإيالاتها العربية، قبلة ذات وزن للتزود بالسلاح. لكن الكتابات التاريخية كشفت لنا أن الدولة العثمانية ومنذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي بدأت تعي تأخرها في موضوع الجيش وعدته مقارنة بعدد من القوى الأوربية، بل أنها لجأت إلى خبرات بعض منها.
- كان جيش الشرق في القرن الثامن عشر الميلادي منشغلاً بشن حروب في الداخل أكثر من مواجهة خطر الأجانب القادم من البحر.

الهَوامِشُ:

(١) يمكن القول إن "السلطة في الشرق خلال القرن الثامن عشر الميلادي"، كموضوع للدراسة، لا يحمل جديدا إلا إذا ارتكز على وثائق غير تقليدية – مؤلف الرحلة عندنا-وبالمحصلة الخروج بنتائج غير تقليدية، لأنه في المشرق كتب الشيء الكثير في هذا الاتجاه ضمن تاريخ الإمبراطورية العثمانية، سواء من قبل الأتراك أنفسهم أو من قبل الأجانب. فنادرا ما نجد كتابا من ذلك ألف في القرن٢٠ والعشرية الأولى من هذا القرن لم يشر مباشرة أو على هامش الحديث عن موضوعات تاريخية ما، إلى مؤسسات الحكم في الدولة العثمانية، ومنه كتاب "الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة" الذي خصص الباب الثاني منه للوقوف على الجهاز الحاكم للدولة مركزيا ومحليا، وخصص الباب الرابع للحديث عن النظم العسكرية للدولة، واهتم في الباب الخامس بالنظم القانونية: (**الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة**، إعداد مجموعة من الباحثين، إشراف وتقديم، أكمل الدين إحسان أغلو، ترجمة صالح سعدواي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول،١٩٩٩). ثم كتاب عبد الرحيم بنحادة، **العثمانيون.."** الذي خصص مؤلفه الفصل الثاني من الكتاب للحديث عن مؤسسات ونظم الدولة العثمانية. عبد الرحيم بنحادة، **العثمانيون: المؤسسات والاقتصاد والثقافة**، الطبعة الأولى، نشر اتصالات سبو، ٢٠٠٨). وخصص فريدريك هتزلFrédéric Hitzel في كتابه:

L 'empire ottoman,XV-XVIII siècles الفصل الثالث للحديث عن التنظيم السياسي والاجتماعي للدولة العثمانية:

(Frédéric Hitzel, *L 'empire ottoman, XV-XVIIIsiècles*, les belles lettres, paris, 2001)

واختار Carter v.Findley أن يؤلف كتابا كاملا حول إصلاح الإدارة العثمانية من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وحتى سنة ١٩٢٢م.

(Carter V.Findley ,*Bureaucratic reform in the ottoman Empire: the sublime porte 1782-1922,* Princeton University Press, 1980)

وخصص روبير مانتران من جهته أربع صفحات من كتابه Histoire de la Turquie للحديث عن الإدارة العثمانية مركزيًا ومحليًا:

(Robert Mantran, *Histoire de la Turquie*, éd 6, presses Universitaire de France, paris1988)

كما لا يمكن إغفال كتابات فرناند بروديل حول البحر الأبيض المتوسط وكتابات برنار لويس حول الإسلام وعلاقة ذلك بالدولة العثمانية في العصر الحديث، أو ما كتبه المشارقة ضمن التاريخ المحلي لبلدانهم أيام الحكم العثماني وكتابات المغاربيين؛ التونسيين والجزائريين منهم تحديدا زمن عصر البايات والدايات لبلدانهما. فكلها كتابات مست بشكل أو بآخر إدارة الدولة العثمانية. أما على مستوى المغرب فتجدر الإشارة أن المصادر التقليدية لتاريخ المغرب المؤرخة لتاريخ هذا البلد خلال القرن الثمن عشر الميلادي، فجميعها وعلى اختلاف أنواعها، قدمت معلومات في سياقات شتى حول حكم البلاد وتصريفه والصراع عليه في هذه الفترة. كما أهتم بهذا الموضوع أيضا على مستوى الأبحاث الأكاديمية المغربية، ولو أننا سجلنا ندرة وجود دراسات وازنة في هذا الاتجاه، لكون أغلب المشتغلين بالتاريخ وضمن موضوع "السلطة" اشتغلوا ضمن إطار القرن التاسع عشر الميلادي، والذين اشتغلوا منهم ضمن القرن الثامن عشر الميلادي ركزوا على موضوع الجيش الإسماعيلي. لكن يبقى من المفيد الإشارة لكتاب صدر حديثا في هذا المنحى وهو كتاب "مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب"، حيث عرض فيه صاحبه محمد جادور لمادة المخزن المغربي في عصر المنصور السعدي والعصر الإسماعيلي، لكن من وثائق أخرى غير مؤلف الرحلة (محمد جادور: **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز، سلسلة أبحاث، مطبعة منشورات عكاظ،٢٠١١.)

(٢) محمد بن عثمان المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**، دراسة وتحقيق محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص٩٩

(٣) المقصود رحلة الإسحاقي.

(٤) يقول أحمد بن ناصر الدرعي عندما حل موعد شد الرحال إلى الحجاز بقصد الحج سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م، وقد كان السلطان مولاي إسماعيل منعه من ذلك السنة التي قبلها:" ولما كان وقت السفر ورد علينا ولده – ولد السلطان-وذكر أن والده صرح له بعدم السفر لأوجه تخيلها وأوهام انتحلها، لم يكن من ذلك شيء وإنما هي تسويلات ووساويس شيطانية". هل هذه الوساويس هي تطلعات سياسية في نظر السلطان؟ أحمد بن أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، الطبعة الحجرية بفاس، ج١، ص١.

(٥) محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، "**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**"، ضمن "موسوعة أعلام

المغرب"، تنسيق وتحقيق محمد حجي، ج٥، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦، ص ١٩٦٠.

(٦) تصدر أحمد بن ناصر الدرعي مشيخة تامكروت: عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى القرن الثاني عشر للهجرة**، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ج٢، ١٩٩٩، ص٦٦٢. ترجمة ٨٠٥ ص٦٧٧.

(7) Abdallah Laroui, *les origines sociales et culturellees du nationalisme Marocain*, François Maspero, Paris, 1980, P.121.

ويقر أحد الباحثين في تاريخ واد درعة بوجود علاقة توتر بين الناصريين في تامكروت والسلطان المولى إسماعيل في القرن ١٨م لم تخف حدته مؤقتا إلا بعد استقدام هذا الأخير لشيخ زاوية تامكروت أحمد بن ناصر ثانية إلى مكناس سنة ١١١٩/١٧٠٩ وأخذه عنه الطريقة. كما أخبرنا المتحدث أن الزاوية الناصرية لعبت دورا هاما في دعم الحضور المخزني بواد درعة بل شكلت امتداد له في بعض الأحيان منذ عهود مبكرة، واستمرت إلى عهد السلطان مولاي سليمان: أحمد عمالك، "الحضور المخزني بوادي درعة في العصر العلوي الأول"، ضمن ندوة **حوض درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع**، أعمال الأيام الدراسية ١٢-١٣-١٤ نونبر١٩٩٢، مقال(٥٥-٧١)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-أكادير١٩٩٦، ص ٦٥-٧١. ونقدم معلومات أخرى في الموضوع في مادة "علاقة السلطان بالخاصة" في الباب الثاني من هذه الدراسة.

(٨) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، ج١،م.س، ص٥ و٦. وعند: محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، تحقيق وتعليق محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥، ص٩٦.

(٩) عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد**، تحقيق علي صدقي ءازايكو، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ١٩٩٢، ص٨٠.

(١٠) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، م. س. ج٢، ص١٨٩. وعند: محمد بن الطيب الشركي الصميلي، **الرحلة الحجازية**، نسخة مصورة عن مخطوطة خزانة جامعة لايبسك بألمانيا تحت رقم٧٤٦، ص٢٥٧.

(١١) الشرقي بن محمد الإسحاقي، **رحلة الإسحاقي**، مخطوط المكتبة الوطنية، ميكرفيلم رقم٣٧٢٤، ص٤. وعند: محمد بن الطيب الشركي الصميلي، **الرحلة الحجازية**، م. س.ص٢٥٧.

(١٢) محمد بن عثمان المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب ..م.س**، ص٦٦. وعند: محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، م.س، ص٥٨.

(١٣) حول الأمير ابن السلطان ينظر: أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، ج٢، ص١٨٩. وحول الأمير الحاكم لجهة إدارية ينظر: عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد**، م، س، ص٨٤.

(١٤) الشرقي بن محمد الإسحاقي، **رحلة الإسحاقي**، م.س.ص٣٦-١٧١-٨٣

(١٥) أحمد بن المهدي الغزال، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**، تحقيق وتقديم إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ١٩٨٠، ص٢٢٩. وعند: محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**،م.س، صص١١٦ إلى ١١٨

(١٦) محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير...**، م.س، ص١٢٠-١٢١-١٤٣. وعند: محمد بن عثمان المكناسي، **البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر**، دراسة وتحقيق مليكة الزاهدي، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ٢٠٠٥. ص٧٠-١٣٨-١٣٩.

(١٧) عن سكة/ نقد إيالة الجزائر، يُنظر: محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق عبد العالي المدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط،٢٠١١، ص٨٨. وعن سكة إيالة طرابلس يُنظر: أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، م.س، ٢/١٣٦. وعن سكة إيالة تونس يُنظر: نفسه، ج١، ص٥٣.

(١٨) يُنظر مثلاً: محمد بن عبد السلام الناصري، **الرحلة الصغرى**، مخطوط مؤسسة علال الفاسي، رقم ٤٤٥٧، ص١٦٠.

(١٩) أثناء تواجده بمصر عائدًا من الحج: أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩١، ص٢٠٤.

(٢٠) نفسه، ص٩٨. وعند: محمد بن عثمان المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب**..م.س، ص١٠٣.

(٢١) محمد بن عثمان، **الإكسير في فكاك الأسير**، م.س، ص١٦٥.

(٢٢) محمد بن عثمان المكناسي، **البدر السافر**، م.س، ص ١٨٤.

(٢٣) محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير...**،م.س، ص٩٦-٩٧.

(٢٤) محمد بن عثمان المكناسي، **البدر السافر**، م.س، ص ١٥٨.

(٢٥) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الكبرى**، ج١،م.س، ص٥.

(٢٦) نفسه، ص٦.

(٢٧) عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، **رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد**، م،س، ص٨٠.

(٢٨) نفسه، ص٤٦

(٢٩) أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**..م.س، ص١١٩.

(٣٠) الشرقي بن محمد الإسحاقي، **رحلة الإسحاقي**، م.س. ص١٧٢

(٣١) محمد بن عبد السلام الناصري، **الرحلة الكبرى**، تقديم وتحقيق المهدي الغالي، أطروحة دكتوراه، (النسخة المرقونة)، كلية الآداب الرباط، ٢٠١١، ص٣٦٠.

(٣٢) محمد بن عثمان المكناسي، **رحلة إحراز المعلى**، م.س٢٤٧.

(٣٣) محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**،م.س، ص٢٣.

(٣٤) نفسه، ص١٨٨.

(٣٥) عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١٠، ٢٠١٤، ص. ١٧٣-١٧٤.